

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى أنه لما اغرق أهل الأرض كلهم إلا أصحاب السفينة أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها وأمر السماء أن تقلع عن المطر { وغيض الماء } أي شرع في النقص { وقضي الأمر } أي فرغ من أهل الأرض قاطبة ممن كفر بـ { لم يبق منهم ديار } واستوت { السفينة بمن فيها } على الجودي { قال مجاهد : وهو جبل بالجزيرة تشامت الجبال يومئذ من الغرق وتناولت وتواضع هو } فلم يغرق وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام وقال قتادة : استوت عليه شهرا حتى نزلوا منها قال قتادة : قد أبقى السفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رمادا .

وقال الضحاك : الجودي جبل بالموصل وقال بعضهم : هو الطور وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا محمد بن عبيد عن توبة بن سالم قال : رأيت زر بن حبیش يصلي في الزاوية حين يدخل من أبواب كندة على يمينك فسألتك إنك لكثير الصلاة ههنا يوم الجمعة قال بلغني أن سفينة نوح أرست من ههنا وقال علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلهم وإنهم كانوا فيها مائة وخمسين يوما وإن وجه السفينة إلى مكة فطافت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأنته بورق الزيتون فلطخت رجليها بالطين فعرف نوح عليه السلام أن الماء قد نصب فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداهما اللسان العربي فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم وقال كعب الأحبار : إن السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل أن تستقر على الجودي وقال قتادة وغيره : ركبوا في عاشر شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير وأنهم صاموا يومهم ذلك وإني أعلم .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بأشخاص من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال [ما هذا الصوم ؟ قالوا هذا اليوم الذي نجى الله به موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرا] فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم [

فصام وقال لأصحابه : [من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه] وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شاهد في الصحيح وقوله : { وقيل بعدا للقوم الظالمين } أي هلاكا وخسارا لهم وبعدا من رحمة الله فإنهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية .

وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير والخبز أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما من حديث موسى بن يعقوب الزمعي عن قائد مولى عبيد الله بن أبي رافع أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبي] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [كان نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يعني وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وزهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر فكيف تجري ؟ قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي] وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روي عن كعب الأخبار ومجاهد بن جبير قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا